﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾ [الرّوم: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيان مصير فريق الكافرين يوم الدّين

لمّا ذكر سابقًا قيامَ السّاعة، وذكر تفرّق النّاس يومئذ إلى فريقين: مؤمنين وكافرين، وبدأ بذكر حال الفريق الأوّل منَ المؤمنين ونعيمهم المقيم، جاءت هذه الآية بذكر الفريق الثّاني من الكافرين المكذّبين والجزاءِ المُعدِّ لهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلِقَآيِ﴾: (لقي) أصل يدلُّ على تَوافي شيئَينِ[1]، فاللِّقاءُ: مُقابلة الشَّيء ومصادفته معًا، وقد يُعبَّر به عن كلِّ واحدٍ منهما، يُقالُ: لَقيَهُ يَلْقاهُ لِقاءً ولُقيًّا ولُقْيَةً، ويُقالُ ذلك في الإدراك بالحسِّ، وبالبَصر، وبالبصيرة[2]، ولَقيتُه لَقْوَةً، أي: مَرَّةً واحِدَةً ولِقاءَةً، واللُّقيةُ فُعْلَةٌ مِنَ اللِّقاءِ، والجَمعُ لُقًى[3]، والالتِقاءُ: المُحاذاةُ[4]، والتَلَقّي: استقبالُ ما يُلْقَى[5]، والمُرادُ باللِّقاء في قوله تعالى: ﴿وَلِقَآيِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البَعثُ بعدَ الموتِ للحِسابِ والجَزاءِ.

2) ﴿مُحۡضَرُونَ﴾: (حضر) أصل يدلُّ على إيرادِ الشَّيءِ، ووُرودِهُ ومُشاهدتِه[6]، والحُضورُ: نَقيضُ المَغيب والغَيْبةِ، وأحضَرَ الشَّيءَ، وأحضَرَه إيّاه[7] إحضارًا: جَعل الشَّيء حاضرًا، و﴿مُحۡضَرُونَ﴾ في الآية

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(2) الرّاغب، المفردات: (لقي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (لقي).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لقي).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حضر).
(7) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حضر).

يجوزُ أن يكونَ من الإحضارِ، أيّ: جَعْلِ الشَّيءِ حاضرًا، أي: لا يغيبونَ عنه، أي: لا يخرُجونَ منه، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى مأتيّ بهم إلى العَذابِ، فقد كَثُرَ في القُرآنِ استعمالُ مُحْضَرٍ ونحوِهِ بمعنى مُعاقَبٍ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الشَّقيُّ التَّعِسُ يـوم الـقيـامـة مَـن كفر وكـذَّب بآيات الله وأنكر البعث

تُبَيِّن الآية الكريمةُ أنّ الَّذين جحدوا توحيد الله تعالى، وكذَّبوا رُسُلَه، وأنكروا البعث بعد الممات والنُّشور للدّار الآخرة، فأولئك يُؤتَى بهم إلى النّارِ، فيَبقَونَ فيها، لا يَغيبُ عنهم عذابُها[2]، كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطف بـ(الواو):

عَـطـفُ تعذيب الـكـافـريـن على تنعيم المؤمنين

عُطف قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على ما قبله بحرف الواو الدّالَّةِ على الجمع والاقتران؛ لأنّ النّظم القرآنيّ ذكر في الآية السّابقة جزاءَ المؤمنين من النّعيم بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الرّوم: 15]، ولذلك كان التّعبير بالواو؛ ليعطفَ عليه جزاء الكافرين، من باب تتميم التّقسيم، وتفصيلِ مصير كلّ فريق من النّاس يوم الدّين.

دلالة التّعبير بحرف (أمّا):

تفصيل الجزاء المُعدّ للكافرين بعد ذِكـر جـزاء المؤمنين

صُدِّر قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بحرف (أمّا) الدّالِّ على التّفصيل؛ لأنّه فصَّل جزاءَ الكافرين من العذاب الأليم في هذه الآية بعد أن فُصِّل جزاءُ المؤمنين من النّعيم بقوله في الآية السّابقة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الرّوم: 15]، كما أنّ في حرف (أمّا) معنى الشّرط، ولذا يقترن جوابه بالفاء،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 64.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 332، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 14، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 491.

كما يفيد حرف (أمّا) توكيدَ الكلام وتقويته[1]، والمقصود هنا تأكيدُ سعادة المؤمنين وشقاوةَ الكافرين.

دلالة التّعبير بالموصول وصلته:

كفر الكافرين سببُ استحقاقهم العذابَ المهين

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصِلَته ﴿كَفَرُواْ﴾ دون الاسم الظّاهر (الكافرين)؛ للتّنبيه على علّة الحُكم، وللإيماء إلى وجهِ استحقاقهم النّارَ، فكُفرُ الكافرين بربّ العالمين وبرسوله الكريم، وتكذيبهم بالآيات الباهرة وبلقاء الآخرة، هو سبب خلودهم في العذاب المهين.

سبب إيراد الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جمعًا:

كثرة المخالفين للهدى من الكفّار والمكذّبين

جاء الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جمعًا في قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ للدّلالة على كثرة الكفّار والمكذّبين[2]، الّذين صَدّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه، فقد أقسم الملعون بأنّه سيغوي ما استطاع من بني آدم، كما ورد في الآية: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: 39 - 40]، وكثرةُ الكافرين في الأرض واقعٌ دلّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: 116].

دلالة التّعبير بالكفر دون الشّرك:

الكُفرُ أعمُّ مِنَ الشِّرْكِ

أوثرَ التّعبيرُ بوصف الكفر دون الشّرك في قوله تَعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لقصد العموم، فالكفر له خصالٌ كثيرة، وكلُّ خصلة منها تُضادّ خصلةً منَ الإيمان؛ لأنّ العبد إذا فعل خَصْلة من الكفر، فقد ضيّع خصلة من الإيمان، وأمّا الشّركُ فهو خصلة واحدة، وهو إشراك آلهة مع اللّه أو دون اللّه، كالأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم باللّه تعالى، ككفار قريش، واشتقاقه ينبئ عن هذا

(1) بهاء الدّين السُّبكيّ، عروس الأفراح: 1/ 130.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/ 242.

المعنى، فلفظُ الشِّرْك مأخوذ منَ الشّريك، فمن لم يجعل للّه شريكًا فليس مشركًا[1]، وبذلك يكون الكفر أعمَّ منَ الشِّرك[2]، كما أنّ سياق الآيات في ذكر انقسام جزاء النّاس يومَ القيامة إلى جزاء مؤمنين وجزاء كافرين، فناسبَ إيرادَ لفظِ الكفر؛ لأنّه نقيض الإيمان المذكور في الآية السّابقة، في حين أنّ الشّرك نقيضُ التّوحيد[3].

دلالة التّعبير بالماضي ﴿كَفَرُواْ﴾:

تحقّقُ كفرِ الكافرين ورسوخِهم فيه

جاء التّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالفعل ﴿كَفَرُواْ﴾ بصيغة الماضي؛ للدّلالة على تحقّق كُفْرِ الكافرين في دار الدّنيا، ورسوخِ هذا الوصف فيهم؛ وذلك لأنّ الإخْبارَ عَنِ الشّيْءِ بِصيغَةِ الماضي يَقْتَضي تحقّق الخبر، ويقتضي كَوْنَ المخْبَرِ عَنْهُ مُتَقَدِّمًا عَلى ذَلِكَ الإخْبارِ[4].

نُكْتَة حذفِ مُتعلّق الفعل ﴿كَفَرُواْ﴾:

بلاغة الإيجاز، لظهور كفرهم بالله

لم يذكرِ السّياقُ القرآنيُّ المتعلّقَ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، فلم يقل: كفروا باللّه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: 52]؛ لأنّ ذلك معلوم، والغالبَ المستفيض منِ استعمال لفظِ الكفر في القرآن أنّ معناه الكفرُ باللّه، ومنَ المُقرّر: أنّه متى كان الفعل نَصًّا في مطلوبه، لا يُذْكَرُ المتَعَلَّقُ به[5] إلّا لغرضٍ بلاغيٍّ آخر مقصود.

نُكْتَةُ عدمِ ذِكر العمل مع الكفر:

الكفر وحدَه موجبٌ للهويّ في النّار

لم يُذكرِ العملُ السّيِّئُ مع الكفر في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، رغمَ ذِكْرِ العمل الصّالح مع الإيمان في

(1) ابن حزم، الفصل: 3/ 264.
(2) النّوويّ، شرح مسلم: 1/ 62.
(3) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 230.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/ 283.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشعراويّ: 13/ 7904.

الآية السّابقة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الرّوم: 15]، وذلك أنّ العمل الصّالح معتَبرٌ مع الإيمان، وسببٌ لرفع درجات صاحبه في الجنّات، وأمّا عدم ذكر العمل السيِّء مع الكفر والتّكذيب بالآيات فلأنّ الكفر وحده سببٌ لاستحقاقه الخلود في النار، وكلّما ازداد في شدّة الكفر والتكذيب، ازداد انغماسه في دركات النّار التي أعدّها الله تعالى لأصناف الكافرين(1).

دلالة العطف في قوله: ﴿وَكَذَّبُواْ﴾:

جمع صفات الكافرين الموجبة لعذابهم المهين

عُطِف التّكذيب على الكفر في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بحرف الواو الدّالّة على الجمع والاقتران، فضُمَّ إلى صفة كفرهم وجحودهم صِفةٌ أخرى، وهي صفة التّكذيب بآيات الله القرآنيّة، الّتي مِن جملتها هذه الآياتُ؛ زيادةً في تقبيح حال الكافرين(2)، وللإشارة إلى أنَّ هؤلاء الكفّار لم يُنكروا الآيات بقلوبهم فقط، بل كَذَّبوها بألسنتهم أيضًا، وبذلك يكونوا جمعوا بين الأمرَين، وفي هذا غاية التّشنيع عليهم، وهو من باب عَطْفِ الخاصِّ بعد العامِّ، إذِ التّكذيبُ بالآيات كُفْرٌ(3)، وبلاغتُه: التّنبيهُ على معنًى في الخاصّ، حتّى كأنّه لخطورته جزءٌ آخَرُ مغايرٌ لِما قبله، فصرّح النّظمُ بالتّكذيب بآيات الله مع اندراجه في الكفر؛ للاعتناء بأمره والتّأكيد على قُبحه، إذِ التّكذيبُ بالآيات لازِمُه تكذيبُ الرّسلِ ﷺ ومُرسِلِهم سبحانه وتعالى.

دلالة التّعبير بالتّكذيب مادّةً وصيغةً:

تكذيب آيات الله موجِبٌ للعذاب المهين

عُبّر بلفظ التّكذيب في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لأنّ التّكذيب معناه نسبةُ الآيات إلى الكذب، أي: الإخبار عن الشّيء بخلاف ما

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 85.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 94.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 2/ 79.

هو عليه، ولأنَّ التّكذيب يدلّ على التّصميم والقطع بأنّ الخَبَرَ كَذِبٌ، ونقيضُه التّصديق، ولا تُطلق صفةُ المُكذِّب إلّا لمَن كذّب بالحقّ لأنّها صفة ذمّ[1]، ويؤكّد ذلك مجيءُ هذا الفعل ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ بصيغة الماضي، الذي يدلّ على تحقّق صفة التّكذيب في المذمومين به، وهو على وزن (تفعيل)، الّذي يَرِدُ للدّلالة على نسبة الشّيء، ويدلّ على المبالغة في النّسبة إلى الكذب.

دلالة التّعبير بـ(الباء) في ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

تعدية الفعل اللازم بحرف الجرّ

تدلُّ الباء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ على التّعدية؛ وذلك لأنّ الفعل (كذب) إذا صار مضعّفًا فإنّه يتعدّى إلى مفعوله بحرف الجرّ، والمقصود: أنّ كفر الكافرين تعدّى إلى التّكذيب بآيات الله الباهرة وبلقاء الآخرة، وفي التّعبير بالباء إشارةٌ إلى المبالغة في تأكيد التّكذيب، كأنّ كذبَهم ملاصِقٌ بالآيات.

دلالة التّعبير بالآيات:

آياتُ الله تعالى هي أدلّتُه على ألوهيّته وصِدق رُسله

ورد لفظُ الآيات في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، وهو جمع آية، لأنّ جذرها يدلّ على بقاء الشّيء في مكانه شاخصًا علامةً لشيء، وفيه معنى الكثرة والجسامة أيضًا[2]، ومنه قولهم: خرج القوم بآياتهم، أي: جماعتِهم، والآية تُطلق على كلّ شيء ظاهرٍ ملازمٍ لشيءٍ باطن يُعْرَف به، حِسّيًّا كان أو عقليًّا[3].

ومِمّا يُذكَرُ في سِرِّ التعبير بها: أنّ آيات الله تعالى هي حُجَجُه وأدلّتُه على ربوبيّته وألوهيّته، وما جاءت به رسلُه من شواهدَ على صدق ذلك[4].

وجاءت الآياتُ مجموعةً؛ للدّلالة على كثرتها ووفرتها وتنوُّعها،

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 45.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (أيى).
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 101، ورضا، تفسير المنار: 1/ 238.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 1/ 552.

فهي علاماتٌ ودلائلُ على وجود الله سبحانه واستحقاقِه العبادةَ؛ وتَشَخُّصُها في الآيات الكونيَّة ظاهرٌ، وأمّا في الآيات الشّرعيّة ففيها معنى الهداية الظّاهرة والباطنة على حدٍّ سواء، فهي لظهورها ووضوحها كالشّيء المتشخِّص الّذي لا يخفى على ناظره.

نُكْتَةُ إضافة الآيات إلى ضمير العظَمة:

كمال قبح التّكذيب بآيات الله تعالى

إضافة الآيات إلى ضمير العظَمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ يُراد به تعظيمُ المضاف، وهو الآيات؛ لزيادة المهابة وإدخالِ الرّوعة في نفوس المتلقّين، وفي تعظيم الآيات على النّحو المتقدّم إظهارٌ لكمال قبح التّكذيب بها[1].

بلاغة العطف بالواو في ﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾:

التّكذيب بالآيات العاجلة والآجلة

جاء عطف التّكذيب بلقاء الآخرة على التّكذيب بآيات الله في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بحرف الواو الدّالَّة على الجمع والاقتران، فضُمَّ إلى صفة التّكذيب بآيات الله تكذيبُهم بالبعث والنّشور الواقع يوم القيامة؛ إمعانًا منهم في الكفر، واستحقاقًا للعذاب، ويرجع التّكذيب بالجزاء على الأفعال إلى التّكذيب بالدّين جملةً واحدةً.

سرُّ التّعبير باللّقاء دون غيره:

تنكيل الكفّار بعين ما كانوا يُنكرونه

آثرَ القرآنُ الكريم التّعبير باللّقاء دونَ غيره في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ لأنّ اللّقاء يُطلَق على مقابلة الشَّيء، وعلى إدراكه بالبصر والبصيرة، وهذا هو المناسِب لإنكار الكفّار البعثَ بقولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السّجدة: 10]، فلمّا وجدوا ما كانوا يُنكِرونه وكأنّه استقبلهم لإعلامهم بما كانوا يُنكِرونه من البعث عُبِّر عنه باللّقاء.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/ 93.

نُكْتَةُ إضافةِ ﴿وَلِقَآيِ﴾ إلى ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾:

لقاء العباد لجزاء أعمالهم يومَ القيامة

أُضيف لفظُ ﴿وَلِقَآيِ﴾ إلى ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلْآخِرَةِ﴾؛ لكون يوم القيامة هو اليوم الموعود الذي يُلاقي فيه العِبادُ الحسابَ والجزاءَ على أعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشَرٌّ، فتكذيبُ الكفّار بهذا اللّقاء سببُ إسرافِهم على أنفسهم بالذّنوب والمحرّمات.

دلالة التّعبير عن القيامة بـ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾:

الآخرة آخرُ المنازل

عُبّر بلفظ ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ عن القيامة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلْآخِرَةِ﴾؛ لبيان ملحظ وقوعها متأخّرًا، أي: كمرحلة أخيرة، لأنّ أصْلَها نَقيضُ التّقَدُّم[1]، كما يُطْلَق الآخِرُ على الأبعَدِ والغائبِ[2]، والآخرةُ: نقيض الدُّنيا، فسُمّيت الدّنيا لأنّها دَنَتْ، أي: قَرُبَتْ، وسُمّيتِ الآخرةُ لِتَأخُّرها، فهي إذًا آخِر المنازل، دارُ جزاءٍ بلا عمل، لا انتقال عنها إلى دار أخرى[3]، وأمّا انتقال الخَلْق إلى الجنّة أو إلى النّار فإنّ ذلك من أحوال الآخرة.

نُكْتَة تعريف ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾:

الآخرة اسمٌ من أسماء يوم القيامة

ورد لفظ ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ مُعَرَّفًا بـ(أل) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلْآخِرَةِ﴾ لدلالتها على تعريف العهد الذّهنيّ، فقد شاع في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة وعند المسلمين إطلاقُ هذا اللّفظ على اليوم الآخر، الذي هو يوم القيامة، فهو اسم من أسمائها الكثيرة.

بلاغة التّرتيب في الآية:

الكفر بربّ العالَمين سببٌ لارتكاب الكبائر في الدّين

تظهر بلاغة التّرتيب في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلْآخِرَةِ﴾ في ذكر الكفر أوّلًا، ثُمّ ذِكْرُ التّكذيب بآيات الله ثانيًا، ثُمَّ ذِكْرُ التّكذيب بلقاء الآخِرة ثالثًا، فبدأ بالكفر لأنّ معناه التّغطيةُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخر).
(2) الخليل، العين: (أخر).
(3) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/ 370.

والجُحود، فإذا تغطّت العقولُ عن إدراك الحقّ وجَحدت الخالقَ، نَتَجَ عن ذلك تكذيبُ أصحابِها بآيات الخالِق الشّرعيّة والكونيّة، وبالتّالي التّكذيبُ بما اشتملت عليه هذه الآياتُ من وجود الآخرة وما فيها من البعث والنّشور والجزاء، فالكفرُ بابٌ لِكُلِّ أنواع المعاصي.

دلالةُ التّعبير بـ(الفاء) في ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

ربـطُ الإحضار للعذاب بالكفر والتّكذيب

جاء التّعبير بالفاء لعطف قولِه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ على ما قبلَه، وهو قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾؛ ربطًا للجزاء بالشّرط، ودلالةً على أنّه سببُه، ففي حرف (أمّا) معنى الشَّرطِ، ولذا يَقْتَرِنُ جوابُهُ بالفاء، والغَرَضُ البلاغيّ منه إنّما هو تعليقُ مضمونِ الجواب على حصول مضمون الشّرط، فيَحْصُل الثّاني بحصول الأوّل، والمقصود: أنّ جزاء الكفر والتّكذيب بآيات الله ولقاء الآخرة هو الإحضارُ للعذاب.

دلالة التّعبير باسم الإشارة للبعيد (أولئك):

شـنـاعـة مـا اتّصفوا به منَ الكفر وتلبّسوا به من التّكذيب

في الإشارة إلى الكافرين والمكذِّبين بـ(أولئك) تنبيهٌ على شناعة ما اتّصفوا به وتلبّسوا به، بحيثُ تميّزوا عمّن عداهم أكملَ تمييز، ووقع اسمُ الإشارة هاهنا للبعيد إشعارًا إلى بُعد مكانتِهم في السّوء والشَّرّ، وللتّنبيه أيضًا إلى أنّهم أحرياء بتلك العقوبة؛ لأجل ما ذُكِر قبلَ اسم الإشارة[1] من الكفر والتّكذيب في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾.

دلالةُ التّعبير بالظّرفيّة في قوله: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ﴾:

إحاطةُ العذابِ بالكافرين إحاطةَ الظَّرْفِ بالمظْروفِ

دلّ التّعبيرُ بالظّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ على أنَّ مثوى الكافرين المُكَذِّبين هو وسطُ جهنّم، والعياذُ بالله، كما أنّ التّعبير بـ﴿فِي﴾ مُشْعِرٌ أيضًا بإحاطة العذابِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 94، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 64.

بهم من كلّ جانبٍ، إحاطةَ الظَّرْفِ بالمظْروفِ، لا يَخْرُجون منه بحالٍ منَ الأحْوالِ.

دلالة تعريف العذاب:

إطلاقُ لفظ العذاب على نار جهنّم معهودٌ في الشّرع

جاء لفظ ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مُعَرَّفًا بـ(أل) الدّالَّةِ على تعريف العهد، أي: في عذاب الآخرة الّذي جعله اللّهُ جزاءَ الكفر والكبائر[1]، فإنّ عذاب كفرهم لمّا كان معلومًا بكثرة الحديث عنه صار كالمعهود، وقد تكرّر لفظُ العذاب في كثير من الآيات، وصار معهودًا عند المسلمين أنّ العذاب المقصود في لسان الشّرع هو عذابُ نار جهنّم، والعياذُ باللّه، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزّمر: 19].

دلالة التّعبير بلفظ: ﴿مُحْضَرُونَ﴾:

دلالةُ لفظ الإحضار على عذاب النّار

ورد التّعبيرُ بلفظ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ لِتَعَدُّدِ المُرادِ به، فيجوزُ أن يكون من الإحضار، أي: جَعْلُ الشّيء حاضرًا، أي: لا يغيبون عنه ولا يخرجون منه، ويجوز أن يكون ﴿مُحْضَرُونَ﴾ بمعنى: مَأْتيٌّ بهم إلى العذاب، فقد كثُر في القرآن استعمال مُحضَرٍ ونحوِه بمعنى مُعاقَب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصّافات: 158][2]، وفيه إشارةٌ إلى أنّهم يُساقون إلى العذاب سوقًا، ويُدفعون إليه دفعًا.

بلاغة الكناية في الآية:

جهنّمُ سجنُ اللّهِ تعالى للكفّار

استنبط العلماءُ من قَوْله تَعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ تأبيدَ الكفّارِ في جهنّم بطريق الكناية؛ وذلك أنّه لمّا ذكر ﴿مُحْضَرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ﴾، ناسبَ أن لا يكونَ المقصودُ من وصف الإحضار أنّهم كائنون في العذاب؛ لدلالة ﴿فِي﴾ الظّرفيّة على ذلك،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 43.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 64.

ولأنّ التّأسيس أوقع من التّأكيد، كما أنّ الإحضار: إنّما يكون على إكراه، فيُجاء بالكافر على كراهة، ففيه إشارةٌ إلى أنّ جهنّم سجنُ اللّهِ تعالى، فكما أنّ المجرم في الدّنيا يُساق إلى السّجن وهو كارهٌ له، فكذا المجرمُ في الآخرة يساق ويُجَرّ إلى النّار بالسّلاسل والأغلال، فيذوق وبالَ كفرِه وتكذيبه[1].

بلاغة اختلاف الأسلوب بينَ الاسميّة والفِعليّة:

تَجدُّدُ حبورِ المؤمنين، وثبوتُ العذاب للكافرين الخالدين

النّاظر فى نظم القرآن الكريم يجد اختلافَ الأسلوب بين الاسميّة والفعليّة؛ فقد آثرَ في الحديث عن الكفّار صيغةَ اسم المفعول ﴿مُحْضَرُونَ﴾ في قوْله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾، بخلاف الحديث عن المؤمنين فإنّه آثرَ الفعلَ المضارع ﴿يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: 15] في ذكر جزاء المؤمنين، بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الرّوم: 15]، والنّكتة في ذلك: أنّ الفعل يُنبِئ عنِ التّجدُّد، والاسمُ لا يدلّ عليه، فالمؤمنون يُحبرون، أي: يأتيهم كلَّ ساعةٍ أمرٌ يُسَرّون به، وأمّا الكفّار فقد قال فيهم: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ بصيغة الاسم، ولم يقل: (يُحضرون)؛ لإرادة الثّبوت والدّوام، فهم إذا دخلوا العذابَ يَبْقَون فيه مُحضَرين، فهو وصفٌ لازمٌ لهم[2].

بلاغة المقابلة بين مصير المؤمنين والكافرين:

المؤمنون في ثوابٍ وحُبورٍ، والكفّار في عذابٍ وثُبورٍ

يتجلّى بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الرّوم: 15]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مقابلةُ مصير فريقين من النّاس، فريقُ المؤمنين وفريقُ الكافرين، فكلّ طائفةٍ تنفرد عنِ الأُخرى، فهؤلاء يُحضَرونَ العذابَ في الوقت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 64، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 94.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 85، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 380.

الذي يُحبَر فيه المؤمنون في روضات الجِنان، فيكونون في عذابٍ ووبيلٍ وثُبورٍ، كما يكون المؤمنون على ثوابٍ وسماعٍ وحُبورٍ، وذلك بعد تمام الحساب، فلا يجتمعون أبدًا، قال الحسن: "لئن كانوا اجتمعوا في الدُّنيا، ليتفرَّقُنّ يومَ القيامة، هؤلاء في أعلى عِلّيّين، وهؤلاء في أسفل السّافلين"[1].

دلالةُ تقديم جزاءِ المؤمنين على عقاب الكافرين:

تقديمُ الفائز في الجزاء، نكايةً للخاسر وزيادةً في إيلامه

ورد في هذه المقابلة تقديمُ جزاءِ المؤمنين على عقابِ الكافرين؛ وذلك لزيادة النّكاية في الكافرين، لأنّ المؤمن يوصَلُ إليه الثّوابُ قبلَ أن يوصَلَ إلى الكافر العقابُ، حتّى يرى ويتحقّق أنّ المؤمن وصلَ إلى الثّواب، فيكون أنكى، ولو أُدخِل الكافرُ النّار أوّلًا لظَنَّ أنّ الكلّ في العذاب مشتركون، فقُدِّمَ ذلك زيادةً في إيلامه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّكذيب والجحود:

عمومُ التّكذيب في عدم التّصديق، وخصوصُ الجحود بمعرفة القلب للحقّ

يرِد كُلٌّ من (التّكذيب) و(الجحود) في صفات الكفّار، ويفترقان من ثلاثة أوجُهٍ[3]: **الأوّل**: أنّ ضدّ التّكذيب هو التّصديق، وضدّ الجحود هو الاعتراف، **الثّاني**: حقيقة الجحودِ نفيُ ما في القلبِ إثباتُه، وإثباتُ ما في القلب نفيُه، فالجُحود يكون مع معرفة القلب بصحّة ما يجحده، ولكنّ الجاحد لا يُقِرُّ بلسانه، وممّا يدلّ على أنّ الجُحود إنكارٌ مع علمٍ قولُ الله سبحانه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النّمل: 14]، وأمّا التّكذيبُ فهو أعمّ منَ الجُحود، والغالب أن يكون بسبب جهل صاحبه بصدق ما نسبه إلى الكذب، الثّالث: أنّ الجُحود يكون في إنكار الأمر الظّاهر لسبق المعرفة به،

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 26.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 85، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 94.
(3) الدّوريّ، دقائق الفروق اللّغويّة، ص: 219.

ولذا يستعمل في القرآن الكريم خصوصًا في سياق جحود آيات الله سبحانه؛ إشعارًا بأنّ آياته سبحانه منَ الوضوح والظّهور بحيثُ يعلَمُ كلُّ واحدٍ صِدْقَها، وأمّا التّكذيب فهو عامٌّ في كلّ إنكار، لذلك آثرَ النّظمُ لَفظ (التّكذيب) لعمومه.

اللّقاء والاجتماع:

اللّقاء اجتماعٌ بَعدَ غَيبَةٍ وانقطاعٍ

يظهر الفرقُ بين اللّفظَين في المعنى الدّلاليِّ لِكُلِّ لَفْظٍ منهما، فالاجتماع يُستعمل في مُطْلَقِ ضمّ الشّيء بتقريب بعضِه من بعض، يقال: جَمَعْتُهُ فاجْتَمَعَ، في حين لا يُطلق اللّقاء إلّا على توافي شَيئَين متقابلين، ومصادفة الواحد للآخر بعد غيبةٍ وانقطاع، ولذا يَرِد في القرآن كثيرًا للدّلالة على يوم القيامة والمصير إليه، ولهذا سُمّي بـ(يوم التلاق)؛ لِمَصير الخلق إلى ربّهم بعد غيبةٍ في هذه الدّنيا، فيجزيهم على ما فعَلوا في مدّة المغيب، فلقاءُ اللّهِ هو نهاية كلِّ حَيٍّ، وعندها سيندم المكذِّبُ بهذا اللّقاء، حين لا ينفعه النّدم[1]، فكان بذلك هذا اللّفظ أنسبَ لسياق الآية في ذِكر الآخرة.

(1) الرّاغب، المفردات: (لقي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»